هذه عادته كل ليلة جمعة حيث يقضى شطرا من الليل عند بعض الاصدقاء ، يشربون الشاى ، ويدخنون الجوزة ، ربما يلعبون الورق . ثم يعود عند منتصف الليل وحده بين الحقول الى سقارة . واحيانا فى ليالى الصيف الندية ، والجو حلو ، ونسمة هواء طرية تهب من ناحية الصحراء المجاورة ، كان الولد السعيد يرفع عقيرته بالغناء . فقد كان يتمتع بصوت جميل ، أحيانا كان يستخدمه فى الغناء فى أفراح الفلاحين ، ولياليهم الملاح .

والرجل نفسه كان وسيما كسيدنا يوسف ، ملامحه ليست شبيهة بملامح الفلاحين ، فالعيون زرق والشعر أصفر . والبشرة بيضاء . . ولا أحد فى القرية كلها يدرى من أين جاء فالبعض يؤكد انه من بلاد فى ريف المنصورة. وانه من نسل عساكر فرنسا الذين كسرهم عسكر شجرة الدر وأسروهم مع ملكهم لويس التاسع ، ثم وزعوهم على بيوت الفلاحين كعبيد ، ولكنهم اعتنقوا الاسلام بعد حين وتزوجوا من نساء الفلاحين واحيوا منهم نسلا يضرب به المثل فى الوسامة والجمال ! والبعض يؤكد انه ابن سائحة خوجاية جاءت إلى مصر فعشقت الاعرابى الترجمان ، وحملت منه سفاحا وكان هذا الرجل هو ثمرة هذه العلاقة المحرمة !

ولكن عجائز القرية وشيوخها يؤكدون انه ابن امرأة كانت تعمل غازية فى الافراح ! وانها كانت غجرية تعيش خارج القرية ، وان الانجليز عندما اجتاحوا القرية خلال ثورة ١٩١٩ . لم يجدوا امرأة تطارحهم الغرام الا هذه الغجرية . وان ثمرة هذا اللقاء هو هذا الشخص نفسه ، الذى كان يتمتع بوجه جميل وصوت اجمل من وجهه

المهم . . الحكايات عن أصله وفصله كثيرة ، والاشاعات اكثر . ولكن المؤكد انه كان رجلا طيب القلب ، وكان فنانا على نحو ما ، ولم يكن بينه وبين احد عداوة . ولذلك كان يسرح وحده بين الحقول دون خوف ، الى ان كانت تلك الليلة المشئومة . حين عاد من سهرته المألوفة . وعند نقطة يضيق فيها الوادى وتضيق عليها الصحراء ، إنفرجت اعواد الذرة عن ماسورة بندقية ، انطلقت منها رصاصة اخترقت قلب الرجل الطيب ، فتكوم على الارض دون ان يتفوه بكلمة !

وما أشد الغموض الذى يكتنف مصرع رجل من هذا النوع . فلا خصومات ولاحزازات وليس لديه مايجعله على طمع او حسد من أى نوع ! ولكن جموع الفلاحين لديهم حساسية خاصة قادرة على اكتشاف الحقيقة . فلم يكد يمر اسبوع ، حتى تهامس الناس فى قرية ابو صير وفى القرى المجاورة بآن القاتل هو عليوه . وان السبب وراء الجريمة هو زوجة الرجل القتيل . فالزوجة جميلة ، عودها ملفوف ، وعيناها وسيعتان ، وشعرها ينسدل على ظهرها ، وضحكتها